

The Motives and Manifestations of Narcissistic Pride in the Poetry of Sulayman al-Nabhani

10.35781/1637-000-139-004

د. عيسى بن سعيد بن عيسى الحوقاني*

أ. بركات بن محمد بن سالم البراشدي**

*أستاذ النقد الأدبي المساعد. جامعة الشرقية. سلطنة عمان

**باحث في الأدب العربي. سلطنة عمان

ملخص الدراسة:

وقد اقتضت حيثيات الدراسة قسمتها إلى مقدمة وأربعة محاور: المحور الأول: دوافع الفخر النرجسي في شعر سليمان النبهاني المحور الثاني: نرجسية الفخر بأصالة العرق ووراثته الملك. المحور الثالث: نرجسية الفخر بتفخيم الذات واحتقار الآخر.

المحور الرابع: نرجسية الفخر بادعاء التفرد. وقد خلّصت الدراسة إلى أن أبرز دوافع الفخر النرجسي عند النبهاني تتمثل في اجتماع عراقه النسب ووراثته الملك، وكثرة المنازعين له في ملكه، بالإضافة إلى نشأته الملكية، وأسهمت قدراته الشعرية والسياسية والقتالية في تكريس النرجسية في شخصيته، وقد تجلّى الفخر النرجسي في شعر النبهاني في مظاهر ثلاثة: أولها نرجسية الفخر بأصالة العرق ووراثته الملك، وثانيها الفخر بتفخيم الذات واحتقار الآخر، وآخرها الفخر بادعاء التفرد.

الكلمات المفتاحية: النرجسية، شعر، الفخر، سليمان، النبهاني

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الفخر النرجسي في شعر سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، للوقوف على دوافعها وأسبابها، والكشف عن تجلياتها المختلفة، وإسهامها في توجيه إبداعه الشعري، وسعت الدراسة إلى استنطاق النصوص الشعرية وتتبع العوامل الخارجية التي أسهمت في إنتاجها، وتنبثق أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول ظاهرةً نفسيةً لم تسبق دراستها في شعر سليمان النبهاني بل لم تُدرس - حسب اطلاعنا - في الشعر العماني عامة، ومما يزيد الموضوع جدّة وطرافة أن هذا الشاعر أحد ملوك الدولة النبهانية التي حكمت عمان قروناً من الزمن، وخاض ملوكها صراعات كبيرة ضد خصومهم لتثبيت ملكهم.

ولنا أن نتساءل عن دوافع الفخر النرجسي عند النبهاني، وعن تجلياته في نتاجه الشعري، وللإجابة عن ذلك لجأت الدراسة إلى تتبع الفخر في شعره، واتكأت على تحليل النصوص الشعرية واستنطاقها، والوقوف على العوامل الخارجية المحيطة بالشاعر لحظة إبداعه الشعري، وتوسّلت الدراسة المنهج النفسي مع الإفادة من نظريتي التلقي والتأويل.

The Motives and Manifestations of Narcissistic Pride in the Poetry of Sulayman al-Nabhani

Dr. Issa bin Said bin Issa Al Hoqani*

Mr. Barakat bin Mohammed Salim Al Brashdi**

*Assistant Professor in Literary Criticism – A'Sharqiyah University, Sultanate of Oman

**Researcher in Arabic Literature – Sultanate of Oman

Abstract

This study examined the phenomenon of narcissistic pride in the poetry of Sulayman bin Sulayman bin Muzaffar al-Nabhani with the aim of uncovering its motives and causes, exploring its various manifestations and identifying its contribution to shaping his poetic creativity. The study sought to interpret the poetic texts and trace the external factors that influenced their production.

The significance of this research lies in its focus on a psychological phenomenon that, to the best of the researchers' knowledge, has not previously been studied in the poetry of Sulayman al-Nabhani or in Omani poetry in general. The topic gains additional novelty and interest from the fact that the poet himself was one of the kings of the Nabhani dynasty, which ruled Oman for several centuries, during which its rulers engaged in major struggles against their rivals to consolidate their reign.

This prompts the question about the motives behind al-Nabhani's narcissistic pride and its manifestations in his poetic output. To answer this question, the study sought to investigate the theme of pride in his poetry by relying on textual

analysis and interpretation, as well as examining the external circumstances surrounding the poet at the moment of his creative expression. The study employed the psychological approach, while also drawing on reception theory and hermeneutics.

The structure of the study comprises an introduction and four main sections:

1. The Motives of Narcissistic Pride in the Poetry of Sulayman al-Nabhani
2. The Narcissism of Pride in Noble Lineage and Dynastic Inheritance
3. The Narcissism of Pride in Self-Glorification and the Denigration of Others
4. The Narcissism of Pride in the Claim of Uniqueness

The study concluded that the most prominent motives for narcissistic pride in Al-Nabhani are represented in the combination of noble lineage and inherited kingship, the abundance of rivals contending for his rule, in addition to his royal upbringing. His poetic, political and combative abilities also contributed to the consolidation of narcissism in his personality. Narcissistic pride in Al-Nabhani's

poetry was manifested in three main aspects: the first is narcissism rooted in pride in the purity of lineage and inherited kingship; the second is pride expressed through self-aggrandizement

and disdain for others; and the third is pride based on the claim of uniqueness.

Keywords: Narcissism, Poetry, Pride, Sulayman, al-Nabhani

المقدمة:

تعدّ الأساطير في مختلف الثقافات رافداً من روافد الآداب والفنون؛ إذ وصل تأثيرها إلى العلوم الإنسانية، وامتد إلى علم النفس، فقد استمد مصطلح (النرجسية) وجوده من أصول أسطورية قديمة تشير إلى فتى كان اسمه (نرسيس)، وكان يتمتع بالجمال، وكان في غاية الإعجاب بنفسه، فكان يقضي وقته أمام بحيرة متأملاً نفسه، مشدوداً إلى جمال وجهه الباهر، مما أثار غضب الإله عليه، فتحول إلى زهرة أطلق عليها اسمه، ومن هنا أصبحت (النرجسية) صفة يعرف بها كلّ إنسانٍ يبالغ في إعجابه بنفسه، واعتزازه بشخصه⁽¹⁾ وقد حظيت أسطورة نرسيس بنسخ متعددة في روايتها، وتطورت حكايتها في العصور الوسطى والحديثة، لا سيما بعد دخولها في علم النفس التحليلي.

وعلى الرغم من اتصال نشأة الأساطير بطقوس دينية معينة، وعقائد وثنية، فقد استطاعت تقديم روافد خصبة تسقي منابع الفنّ كالرسم والنحت، ومنابع الأدب كالملاحمات منذ زمن الإلياذة والأوديسة⁽²⁾، ويجنح تفسير الناس لهذه الأساطير نحو آفاقٍ واسعةٍ من الخيال بعيداً كلّ البعد عن مقتضيات العلم والواقع والحقيقة، إلّا أنّ ذلك التفسير كان مقبولاً بمعايير الزمن البدائي الذي ظهرت فيه تلك الأساطير.

وتقودنا الدلالة اللغوية للنرجسية إلى أنّ النرجس نباتٌ جميلٌ طيب الرائحة فقد جاء عن الدينوري قوله: "ومن النبات الطيب الريح جداً العَبْهر وهو النرجس، وهو عندنا بريٌّ وريفيّ، وهو أيضاً بأرض العرب كثير بريّ وريفيّ"⁽³⁾. وجاء في (القاموس الموسوعي) أنّ النرجس: "نبته ذات أوراق رفيعة طويلة،

(1) فرج عبد القادر، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، باب النون، كلمة (نرجسية) ص451.

(2) محمد، أحمد علي، النرجسية بين التراث الأدبي وعلم النفس: دراسة نظرية استقصائية، اتحاد الكتاب العرب، التراث العربي، ع 150، 151، ص25.

(3) الدينوري، أحمد داود، كتاب النبات، تحقيق: برنهارد لفين، دار القلم، بيروت، لبنان، 1974م، باب الروائح، ص207، 208.

وزهر أبيض أو أصفر عطر⁽¹⁾. وجاء في (تاج العروس) أن "النرجس، بفتح النون وكسرهما: من الرياحين، وهو معرب: نركس".⁽²⁾

لقد أخذ علماء النفس مفهوم النرجسية من الأسطورة الإغريقية المتعلقة بالفتى الوسيم (نرسيس)، الذي انغمس في حبه لذاته إلى درجة من التّغالي لم يعدّ عندها قادراً على أن يحسّ بمنّ حوله، أو يشعر بعشقتهم له، وقد أدّى إعجابه الشديد بنفسه وعدم اكتراثه بعاشقيه إلى نهايةٍ مأساويةٍ انعكست آثارها السلبية عليه وعليهم.

وصارت (النرجسية) مصطلحاً من مصطلحات علم النفس يطلق على من يحمل صفات نفسية كالتّي يحملها (نرسيس)، فحسب (ويندي بيهاري، Wendy. Behary) "غالباً ما ينغمس النرجسيون في حب ذواتهم وينشغلون بالحاجة إلى الوصول للصورة المثالية (التقدير أو المنزلة الرفيعة أو إثارة حسد الآخرين)"⁽³⁾، وحسب (ماريو جاكوبي، Mario Jacoby) "يستخدم التحليل النفسي مصطلح النرجسية للإشارة إلى تقدير الذات، بصرف النظر عما إذا كان نابعاً من ثقةٍ صحيّةٍ بالذات أو من سلوكٍ دفاعيٍّ لاشعوريٍّ"⁽⁴⁾.

وتشير النرجسية عند كلّ من الفتلاوي والجبوري إلى "افتتان المرء بجسده أو حب الذات أو عبادة الذات أو عشق الذات"⁽⁵⁾. وعرفها حازم الأعرج بأنها "أحد الصفات الشخصية التي تطلق على الجنس البشري للأفراد الذين تظهر عليهم تصرفات وممارسات تتم عن حب الذات والتغالي على الآخرين"⁽⁶⁾.

وقد تتبّع كلّ من (ليري Leary وهويل، Hoyle) توسّع علماء النفس في المفهوم الأصلي للنرجسية الذي يركّز على اضطراب الشخصية ليصبح غير مقتصرٍ على الاضطراب المرضي، بل وجد الباحثون المعاصرون ما يفيد أنّ للنرجسية جانباً إيجابياً يركّز على تفعيل تقدير الذات وتنظيمها بين

(1) سماحة، سهيل حسيب، قاموس سمير الموسوعي، سمير دار نشر، ط2، بيروت، لبنان، 2012م ص631

(2) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: محمود الطناحي، وزارة الإعلام، الكويت، 2004م. باب: نرجس

(3) ويندي بيهاري، تعرية النرجسي، ترجمة: محمد السعدي، دار المدى، بيروت، ط1، 2020م، ص41.

(4) ماريو جاكوبي، التفرد والنرجسية، ترجمة: عبدالمقصود عبدالكريم، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2020م، ص96.

(5) الفتلاوي، عباس، والجبوري، بشرى، النرجسية في فن التصوير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2020م، ص28.

(6) الأعرج، حازم حسن، نرجسية المتنبي، دار نينوى، سورية، دمشق، ط1، 2021م، ص85.

الأفراد⁽¹⁾، وعليه عرّفنا النرجسية بأنها "متغيّر من متغيرات الفروق الفردية"⁽²⁾. وبذلك تكون النرجسية دافعاً إيجابياً نحو الاعتزاز بالذات وتقديرها وحمايتها.

وعلى الرغم من تعدّد تعريفات النرجسية فإنّها تجمع على معنى الإفراط في حبّ الذات، والمغالاة في الإعجاب بالنفس، وعليه تُعدّ النرجسية سمةً شخصيةً واضحةً تميّز صاحبها عن غيره، فصاحب النرجسية - بشكل عام - يتسم بتعظيم نفسه، ويدور - غالباً - حول قضاياها الشخصية، ويسبح في خيالٍ لا محدودٍ مستحضراً إمكاناته ومواهبه وقدراته الفائقة، ويرى نفسه نموذجاً للجمال والتفرد؛ ولذلك ينتظر الاهتمام من الآخرين في الوقت الذي لا يعير وجودهم أيّ شعور ولا انتباه، والغريب في أمر النرجسيّ أنه مع هذا كله يرى نفسه المفضلّ والمقدّم دائماً وأبداً، ويغضب حين يعامله الناس بخلاف ما يعتقد في نفسه عن نفسه.

وإذا كانت النرجسية اعتزازاً بالذات، وسعيّاً لتحقيق مكانتها، فهي أمرٌ طبيعيٌّ للغاية، وسجيّةٌ موجودةٌ في النفس الإنسانية، وعلى النقيض فإنّ النفس التي تتلقّى الإهانات والتحقير، ولا تشعر بقيمتها، تحاط بالمعاناة والألم؛ لذلك يحقّ للإنسان أن يعتدّ بنفسه بما هو جدير به وأهلّ له، ولكنّ عليه أن يحذر من المغالاة في الإعجاب بنفسه إلى مدى يقتحم عنده حمى الآخرين، فيؤذي بنرجسيّته غيره، ويجرح في حالةٍ من الغرور والكبر من حوله، فالوصول إلى هذا المستوى يعدّ مرضاً واضطراباً نفسياً.

ويغلب على الشاعر الميل إلى ذاته والاعتداد بها والمغالاة في تمجيدها، ويبدو ذلك في إنتاجه الأدبيّ بطرائق مملّنة تارة ومضمرة تارة أخرى، ويسعى الشاعر بصنّيعه هذا إلى استمالة عواطف المتلقين؛ ليحظى بالتأييد من ناحية، ونيل اهتمام خاصٍ من ناحيةٍ أخرى، فهذا يزيد شعوره بنشوة تحقق الذات، فإذا كان هذا حال الشاعر فإنّ الحال يزداد مغالاة واعتداداً بالذات حين يجتمع الإبداع الشعريّ والملك وجبروت السلطان والطموح في نفس واحدة، هكذا تكون هذه النفس مهيئَةً لتصل إلى النرجسية.

والنرجسية ظاهرة ذات أبعادٍ ودلالاتٍ نفسيّةٍ مختلفةٍ، وكونها مرتبطة بعملٍ فنيٍّ جسده الشاعر في شعره، فهي نتيجة تفاعل الشاعر مع الحياة بظروفها وتقلباتها وألوانها المختلفة، فلا شكّ في أنّ الرشد النفسيّ يكون حاضراً في الإبداع الشعريّ سواء أكان ذلك بوعي من الشاعر أو بدون وعي.

(1) مارك. ليري، وريك. هويل، المرجع في الفروق الفردية في السلوك الاجتماعي، ترجمة: عبداللطيف محمد، وعبدالمعتمد شحاته، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018م، ص1101.

(2) نفسه، ص1101.

ولا شك في أنّ الشعر وسيلة الشعراء للتعبير عن خواطرهم وأحاسيسهم، وتتجلى فيه قيمهم وسلوكياتهم؛ ولهذا يتجلى الجانب النفسي للشاعر في إنتاجه الشعري، إلّا أنّ الكشف عنه يتطلب سبراً عميقاً ودراسةً مستفيضةً للنص الشعري من ناحية، ويتطلب كذلك حسّاً نقدياً دقيقاً من ناحية أخرى.

وقد درست النرجسية لدى جملة من شعراء العرب قديماً وحديثاً، إلّا أنّ هذا الجانب - حسب اطلاعنا - لم ينل حظاً من الدراسة لدى شعراء القطر العربيّ العمانيّ، ولعلّ سبب ذلك يعود إلى عدم تصوّر حضور هذه الظاهرة في إنتاج شعراء هذا القطر العربيّ.

ويُعدّ الشاعر سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانيّ من أبرز الشعراء العمانيين الذين نالوا حظاً لا بأس به من الدراسات المتخصصة، وعلى الرغم من بروز النرجسية في شعره بدرجة كبيرة، فإنّ عناية الباحثين لم تلفت لدراساتها في شعره حتى الآن، ومن هنا تتبثق أهمية هذه الدراسة؛ إذ تتناول ظاهرة نفسية من خلال استتطاق النصوص الشعرية من ناحية، وتتبع العوامل الخارجية المحيطة بالشاعر لحظة إنتاجها من ناحية أخرى، إضافةً إلى أنّ هذا الشاعر كان ملكاً ينتمي إلى سلسلة من ملوك الأسرة النبهانية التي حكمت عمان قروناً من الزمن، وصفها المؤرخون بالظلم والطغيان.

والنرجسية ظاهرة في كلّ غرض طرقة النبهاني غزلاً أو فخراً، ونجد كذلك للنرجسية حضوراً كبيراً في رثائه لأخيه حسام، بل تتسرب النرجسية حتى في موعظته الشعرية المشهورة ب (توبة النبهاني)، إلّا أنّ المجال لا يتسع لتتبع النرجسية في شعر النبهاني كاملاً؛ ولهذا تقتصر الدراسة على الفخر النرجسي للوقوف على دوافعه ودراسة تجلياته.

المحور الأول: دوافع الفخر النرجسي في شعر سليمان النبهاني

تُعدّ مرحلة الطفولة مؤثراً قوياً في توجيه حياة الفرد، ففي هذه المرحلة تتشكل شخصية الإنسان، فالبيئة التي ينشأ فيها الطفل يبقى أثرها حاضراً في شخصيته، فيغلب على من ينشأ في أسرة علمية أن يكون مثقفاً، ومن ينشأ في أسرة تجارية يغلب عليه الفكر الاقتصادي، ومن ينشأ في أسرة متديّنة يغلب عليه الفكر الدينيّ، وشخصية الإنسان الذي نشأ في أسرة فقيرة مقهورة تختلف عن شخصية الإنسان الذي نشأ في أسرة ملكٍ وسلطانٍ وجا، هكذا تجري القاعدة العامة عبر التاريخ حين يكون الأمر متعلّقاً بتوجّه المرء نحو ما نشأ عليه من حالٍ وفكرٍ، لذلك يولد الطّفل على طبيعته النقيّة، ويخرج من رحم أمّه إلى الدّنيا بصفحة بيضاء خالية من الشوائب، فقد روي عن الرّسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - أنّه قال: "ما من مولود يولد إلّا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه

... (1). لذلك يبدأ الإنسان منذ ولادته بتلقي السلوك والأفكار حسب البيئة المحيطة به التي تعنى بتربيته وتنشئته، كما قال المعري (2): [الوافر]

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ومن الطبيعي أن تتعدد المؤثرات، وتختلف الأسباب التي تقف وراء تكون الشخصية النرجسية، فالباحث للنرجسية في شخصية ما يختلف عنه في شخصية أخرى، وربما يكون الشخص قد ورث صفات النرجسية عن أمه وأبيه أو أحد أجداده، لكنها تظل صفات مغمورة ما لم تغذيها عوامل أخرى تبدأ منذ الطفولة المبكرة.

والإنسان بطبيعته نرجسي، فكل شخص يحب نفسه ويحب أن يكون ناجحاً، وأن تكون له مكانته وقيمه الفردية والاجتماعية، وعليه تكون النرجسية أمراً مطلوباً، بل هي صفة ضرورية لتدفع الإنسان نحو النجاح وتحقيق ذاته، بيد أن هذه النرجسية الطبيعية يمكن أن تتضخم وتتسع في الذات فيتحوّل صاحبها إلى إنسان يتسم بالكبر والتعالي والغرور، فلا يعترف إلا بنفسه، ولا يحب إلا ذاته، فيتجاوز حقوقه إلى الإضرار بحقوق الآخرين، وهنا يبدأ التحذير من مثل هذه النرجسية المضطربة (3).

ومن الطبيعي أن يلي كل أبوين حاجة أطفالهما من الحب والرعاية والاهتمام، ولا شك في أن كل طفل يدرك ذلك، ويشعر أنه يستحق كل ما يوفر له من مأكّل ومشرب وملبس وحب ولعب واهتمام، فهو يعيش ثقة كبيرة بنفسه، وهذا الأمر ضروري للطفل؛ ليكون شخصاً طبيعياً يتمتع بالصحة النفسية والجسمية والعقلية، ولكن المبالغة في الاهتمام بالطفل يؤثر على شخصيته سلباً، كما أن إهمال الطفل واحتقاره يؤثر سلباً على نفسيته، فيجب على الوالدين الابتعاد عن الإفراط أو التقریط؛ فكلاهما يكسب الطفل صفات غير محمودة (4).

وللعوامل النفسية التي يمر بها الإنسان في مرحلة الطفولة علاقة كبيرة بتشكّل الشخصية النرجسية، فحتى يكون الطفل سويًا يحتاج إلى الشعور بحب الآخرين له من خلال التعبير عن إعجابهم

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، البشري، باكستان، 2016م، رقم الحديث: 4775، ص 2143.

(2) المعري، أبو العلاء، اللزوميات لزوم ما لا يلزم، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2011م، المجلد الثاني، ص 727.

(3) الفتلاوي، عباس نوري، والجبوري، بشرى سلمان، النرجسية في فن التصوير، ص 65.

(4) الفنجري، حسن عبد الفتاح، بعض اضطرابات الشخصية لدى الأطفال: البواعث والمظاهر، المجلة العلمية للدراسات والبحوث التربوية والنوعية، جامعة بنها - كلية التربية النوعية، مصر، العدد: 1، 2016م، ص 64، 65.

به ومحبتهم له، وإحاطته برعايتهم، وغرس الطمأنينة في نفسه، وفقدان هذا الاهتمام قد يؤدي إلى الاضطراب في شخصيته.(1)

والمبالغة في الاهتمام بالطفل قد تكون سبباً من أسباب اضطراب الشخصية، فمن المهم الابتعاد عن الدلال الزائد سواء أكان مادياً أو معنوياً، فالدلال الزائد يشكل حالة نفسية لدى الطفل فيتصور أن له الحق في الحصول على كل ما يريد وزيادة، ويتوهم أنه مصيب في كل أفعاله وأقواله، وحين يكبر يصطدم هذا الطفل بالواقع الذي لا يعطيه كل شيء، ولا يسوغ له كل أفعاله وأقواله، بل يحاسب على كل خطأ يصدر منه قولاً أو فعلاً، حينها يتفاجأ بالمسؤولية الفردية والاجتماعية المطلوبة منه، هنا يظهر الاضطراب في شخصيته الراضية لذلك الواقع؛ إذ إن شخصيته لم تتشكل لتقبل ذلك؛ فيبدو نرجسياً حين يعيش بين أوهامه وتصوراته التي تربى عليها وبين الواقع الذي اصطدم به؛ إذ يصعب عليه ترك ما اعتاده وتربى عليه.(2)

والإساءة النفسية التي يتلقاها الطفل وخصوصاً من والديه تؤثر على قيمته الذاتية وثقته بنفسه، فتحقير الطفل والاستهزاء به وبإمكاناته، وتهديده المستمر يضعه في حالة من القلق والخوف الدائمين، بالإضافة إلى النقد المتكرر والسب والإهانات كلها ممارسات سلبية تدفع بنفسيه الطفل إلى الاضطراب(3)، هكذا يبدو جلياً أن الإخلال بتربية الطفل بزيادة التدليل أو الإهمال يؤدي إلى الإخلال بتوازنه النفسي.

وعلى الرغم من أهمية تتبع مراحل حياة الشاعر لدراسة الأبعاد النفسية التي تحيط بشخصيته فإن ذلك لا يتحقق إلا بتوفر المعلومات الكافية عن حياته الشخصية، وفي حال تعذر الحصول على تلك المعلومات فإن استطاق النصوص الشعرية يبقى المصدر الرئيس للباحث فيسبر أغوارها، ويفتّش في جنباتها، ويقرأ ما وراء سطورها، ليصل إلى الأبعاد النفسية من خلالها.

والمطلع على التاريخ العماني يدرك أنه "لا توجد مصادر كافية لدراسة تاريخ بني نبهان في عمان، ولا للتعرف على أفراد السلالة الحاكمة بصورة دقيقة"(4)، ويعدّ السلطان الشاعر سليمان بن سليمان

(1) مرتضى، سلوى محمد، تربية الطفل بين الدلال المفرط والقسوة الزائدة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، المجلد: 53، العدد: 607، 2014م، ص 71، 72.

(2) نفسه، ص 69.

(3) الفنجري، حسن عبد الفتاح، بعض اضطرابات الشخصية لدى الأطفال: البواعث والمظاهر، ص 67.

(4) النعماني، سعيد بن سالم، الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا ما بين القرنين الأول والسابع الهجريين، النادي الثقافي، مسقط، تنفيذ دار الفرق، دمشق، ط1، 2012م، ص 335.

النبهاني من ملوك آل نيهان المتأخرين، وهم من أزد عمان يعود نسبهم إلى "نيهان بن كهلان بن نيهان بن محمد بن نيهان بن عمر بن نيهان بن كهلان بن نيهان بن محمد بن عمر بن ذهل بن نيهان ... (1)" ويصل النسب إلى "العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء" (2) وولد الشاعر النبهاني في أسرة ملك يتوارثه كابر عن كابر ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته وإنما ترجّح أنّه ولد في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، الرابع عشر الميلادي، وتوفي سنة (915هـ) (1510م) (3)

لم يكن النبهاني من طبقة عامة الشعب ولا من طبقة الشيوخ والأمرء، بل كان من طبقة الملوك، هكذا صنّفه صاحب (شقائق النعمان) إذ يقول: "ممن قال الشعر من أهل عمان من الملوك في القرن التاسع من الهجرة السلطان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني" (4) أما شعره فهو "في غاية من الجودة وجزالة اللفظ ورشاقة المعنى، قد استخدم الألفاظ الغريبة والمعاني المبتكرة، ولا ترى في شعره حشواً ولا تعقيداً، فهو يزاحم امرأ القيس وأضرابه" (5) ويبدو أنّ صاحب (شقائق النعمان) أدرك أنّ اعتداد النبهانيّ بذاته ليس أمراً طبيعياً بل تجاوز فيه الحد فوصفه بأنّه "ذو الافتخار والنخوات أي يقول في شعره: أنا وأنا ونحن ونحن، يفتخر وينتخي فيه" (6)

هكذا نشأ النبهاني في أسرة محاطة بحياة كريمة في رغدٍ من العيش "استمرّ هذا الترف واستمرت هذه الحياة الناعمة التي عاشها الشاعر متمتعاً بها وبملذّاتها المختلفة بعد أن أصبح ملكاً" (7). والسائد في أسر الملك انتشار الترف والترفع والتعالي؛ ولا تخلو نظرتهم إلى غيرهم من الدونية والاحتقار، ولا تعدو علاقتهم مع الشعوب عن علاقة التابع بالمتبوع، وكلّ هذا أدّى إلى تضخّم الأنا، وهذا ما جرى عليه ملوك بني نيهان فقد مالوا "إلى حياة الرفاهية والترف والفخامة" (8).

(1) السيابي، سالم بن حمود، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، 1383هـ، 1963م، ص 116

(2) نفسه، ص 117

(3) الخروصي، سليمان بن خلف، مقدمة ديوان النبهاني، النبهاني، تحقيق: عز الدين التوخي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط 3، 2006م، ص ب

(4) الخصيبي/ محمد بن راشد، شقائق النعمان على سموط الجمال في أسماء شعراء عمان، ج 2، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط 2، 2016م، ص 178

(5) نفسه، ص 178

(6) نفسه، ص 177

(7) شكري بركات، ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية، د. ناشر، ط 1، 1994م، ص 13.

(8) مجموعة من الباحثين، عمان في عهد بني نيهان، الفصل الخامس من كتاب عمان في التاريخ، مطابع النهضة، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ط 3، 2015م، ص 167.

وكما نال النبهاني ما لم ينله معاصروه من أبناء الشعب في ملذات الدنيا فلا شك في أنه نال ما لم ينله معاصروه في مجال العلم والمعرفة فمن يتأمل شعره يجد فيه ثقافة واسعة ومعرفة دقيقة بالتاريخ الإنساني، ناهيك عن اطلاعه الواسع على الأدب العربي منذ العصر الجاهلي "وقد تأثر بذلك كثيراً ويبدو ذلك التأثير في معارضته لعدد من الشعراء العرب الجاهليين والإسلاميين"⁽¹⁾

وظهور العلماء والأدباء في عصر النباهة يشير إلى مدى اهتمامهم بالثقافة والشعر خاصة، "فقد قرب ملوك بني نبهان الشعراء إليهم وأغدقوا عليهم الأموال"⁽²⁾، وقد كان ملوك بني نبهان يقدرون الشعر حق قدره ويستهوهم المديح ويجزون الشعراء عليه.

وللنبهاني مكانته الشعرية فهو "أرحب شعراء عصره نفساً، وأعمقهم حساً، وأبدعهم فناً، وأخصبهم خيالاً، وأكثرهم فخراً واعتزازاً"⁽³⁾. وكيف لا يعتدّ بشعره وهو صاحب منزلة عالية، وقدر رفيع عند خاصة الناس وعامتهم، وكل هذا ظهر جلياً في إنتاجه الشعري، فقد ورث النبهاني الملك عن أبيه سليمان بن المظفر، وورث أبوه الملك عن جده في سلسلة من ملوك أسرة بني نبهان التي حكمت عمان على فترتين امتدت أطولهما قرابة خمسة قرون، الأمر الذي يشير إلى تمكّنهم من الحكم وكفاءتهم في إدارة شؤونه⁽⁴⁾.

وسيطر النباهة أيضاً على "مملكة بات والتي كانت تقع في أرخبيل لامو بساحل أفريقيا، والتي رحل إليها أحد ملوك بني نبهان، وأقام هناك هذه المملكة التي رعت الحضارة والعلم والثقافة، ونشرت الإسلام بين كثير من الأفارقة"⁽⁵⁾. وقد تغنى الشاعر النبهاني كثيراً بأصله، فهو من قبيلة الأزد القحطانية حيث ينتهي نسبها إلى يعرب بن قحطان، لذلك نجد الشاعر كثيراً ما يشير إلى ملكهم القادم من أعماق التاريخ، وأنه متجدرّ فيهم لا يكاد يفارقهم.

خاض الملك الشاعر حروباً مستمرة من أجل السلطة والملك، فكان منها مع أخيه حسام الذي مات مقتولاً على يده في إحدى المعارك التي دارت بينهما، ومنها الحروب التي خاضها للدفاع عن ملكه

(1) شكري بركات، ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية، ص17.

(2) مجموعة من الباحثين، تاريخ عمان عبر الزمان، مكتب مستشار جلالة السلطان للشؤون الثقافية، سلطنة عمان، 2020م، ج4، ص172.

(3) شكري بركات، ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية، ص6.

(4) مجموعة من الباحثين، تاريخ عمان عبر الزمان، مكتب مستشار جلالة السلطان للشؤون الثقافية، سلطنة عمان، 2020م، ج4، ص150-153.

(5) مجموعة من الباحثين، عمان في التاريخ، مطابع النهضة، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ط3، 2015م، ص168.

أمام الحملات الداخلية المؤيدة لقيام الإمامة والإطاحة بملك بني نبهان، وهذا الأمر جدير بأن يكون من بواعث ظهور النزعة الذاتية، وتفخيم الأنا في سبيل إثبات أحقيته بالملك سواءً مع مؤيديه حتى يضمن ولائهم، أو مع معارضيه حتى يقمع جماهم ويؤكد ثباته على موقفه مهما كلفه ذلك.

وسلطة الملك في كل الأحوال دافع من دواعي النرجسية إلا أنها تكون أكثر تأثيراً حين تتحقق للإنسان دون أن يسعى إليها، ودون أن يكافح من أجلها، كما هو حال النبهاني فقد جاءه الملك يسعى قبل أن يطلبه، فهو ملك بالوراثة، فمن الطبيعي أن يرفض دعوات خصومه له بالتخني، لأنه نشأ على أن الملك حق مكفول له، ولا يحق لغيره أن يناقسه فيه؛ لذلك ظهرت نرجسيته في شعره جليةً وهو يوبّخ منافسيه، مدعيًا أن الملك لا يصلح إلا له، فلا يوجد من يناقسه في مكانته العالية، ولا من يتصف بصفات السامية؛ إذ اجتمعت فيه إضافة إلى عراقة الأصل ووراثة الملك خصالاً لم يلقها سواه كثقافته الواسعة، وموهبته الشعرية، وشجاعته وفروسيته، الأمر الذي يقوّي موقفه، رافعاً نفسه فوقهم، مستأثراً بالملك دونهم، بل بالغ في تمجيد نفسه مبالغة كبيرة كما بالغ في تحقير منازعيه وازدراءهم.

تكون الشخصية النرجسية متقلبة الطبع، تتلون حسب العوامل الكامنة في أعماق النفس، وتتمتع بقوة كبيرة في تفسير المتناقضات، وتوضيح أسباب السلوك اللاواعي، خصوصاً عندما تكون النرجسية وراء الإبداع الشعري، فالملك الشاعر ومعاناته ينحطان في عاطفته ويجرحان نفسيته بطريقة لا يجد عندها منفذاً يتفّس من خلاله سوى طريق الشعر، فيصنع ذاته بما يُبهر الآخرين من إبداع، وعلى هذا تكون النرجسية "قوة محرّكة للطموح"⁽¹⁾.

ويبدو أن النبهاني قد مرّ في مراحل حياته المختلفة منذ ولادته وحتى مماته بمجموعة من العوامل دفعت بشخصيته إلى أن تصبح شخصية نرجسية، ويمكن إجمالها في خمسة عوامل: أولها وراثة الملك أباً عن جدّ مع ما يتصل به نسبه من أصل رفيع، وثانيها نشأة الشاعر في الترف والبذخ، وثالثها ثقافته الواسعة خصوصاً في الأدب والتاريخ، ورابعها إبداع الشاعر في موهبته الشعرية، وآخرها منازعة خصومه له على الملك وخوض معارك ضدهم أثبت فيها شجاعته وفروسيته.

المحور الثاني: نرجسية الفخر بأصالة العرق ووراثة الملك.

يبدو النبهاني مزهواً بنسبه العريق، وأصله الفريد، وقومه الصناديد، فيتفاخر بكريم العنصر وعريق النسب، ويتباهى بالملك الذي توارثه كابراً عن كابر، ويقرن ذلك الافتخار بمدح ذاته وإعلاء

(1) نجم، خريستو، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1983م، ص21.

شأنه فوق الناس جميعاً، فكان لنسبه حضورٌ بارزٌ في شعره؛ إذ اتخذهُ أداةً من أدوات الاعتداد بالذات تارة واحتقار الآخرين تارة أخرى، ومن مواطن زهوه بنسبه قوله في مقصودته⁽¹⁾: (الرَّجَز)

أنا ابن ذي التَّاج المليك تبَّع وصفوة المختار هود المصطفى
من دوحه هود النَّبي أصلها وفرعها في شرف ماء السَّما

تبدو الأنا الفردية عند النبهاني متشعبة بالتضخم والعظمة، فيوظف ضمير المتكلم (أنا) ممجدا ذاته من خلال اعتزازه بنسبه العريق وأصله المتين، ليؤكد أحقية بالملك من ناحيتين يرجع كلاهما إلى العرق الأصيل: فاستدعى شخصيتي (تبع - ماء السماء) ليفخر بجذوره الملكية، واستحضر شخصية النبي (هود) ليفخر بجذوره الدينية، فهو الأحق بالملك سياسياً ودينياً، وتتجلى نرجسية النبهاني من خلال إبراز أنه المتعالية وذاته المتضخمة بتأكيد عراقه جذوره الملكية وجذوره الدينية؛ ليضفي على ذاته قداسةً عرقيةً لا تجتمع في سواه؛ ولهذا فهو أحق من غيره بالملك والسيادة؛ لأنه أعلاهم مكانةً وأطهرهم نسباً، فلا أحد من منافسيه جمع بين عراقه الأصليين.

وتمتزج النرجسية بالأنا المثالية المتمثلة عنده في الأصل الشريف والنسب العريق ووراثه الملك من جيل إلى جيل، ويسعى النبهاني من خلال الترابط بينه وبين الأنا المثالية للوصول إلى تثبيت الأنا النرجسية التي عمل على تكريسها في خطابه الشعري، وإذا كان النرجسي الذي يشعر بالنقص في ذاته يوظف التفاخر لإعلاء ذاته فوق الآخرين سعياً منه لإشباع نرجسيته بإتمام نقصه حسب تصوُّره، فإنَّ النبهاني يلجأ إلى التفاخر لتوظيفه دليلاً على مكانته العالية وحجةً لادعاء الكمال الذي يحيط به ذاته المتضخمة، وهذا الادعاء أصبح حقيقةً قارةً في نفسه، وعلى هذا فإنَّ تكريس هذا الافتخار "ليس له إلا وجهٌ واحدٌ متَّجه نحو الأنا، فالوجه الآخر متَّجه نحو الإشباع النرجسي"⁽²⁾، فافتخار النبهاني بمكانة قومه وعراقه نسبه له وجهان: أولهما يثبت به ملكه ويبني به حصونا دفاعيةً يصد بها منازعيه على الملك، وآخرهما يحقق به إشباعاً نرجسياً لذاته المتضخمة.

(1) النبهاني، سليمان بن سليمان، ديوان النبهاني، تحقيق: عز الدين التتوخي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 2006م، ص4

(2) بيلانغرينغر، النرجسية دراسة نفسية، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية السورية، دمشق، د. ط، 2000م، ص128.

وفي القصيدة الخامسة والسبعين من ديوانه يؤكد النبهاني على عراقه نسبة القحطاني الذي لا ينافسه فيه غيره، المنتمي إلى أسرة ملكٍ وسلطانٍ متّصلٍ متوارثٍ؛ إذ يقول: (1) [الكامل]

أنا سيّد الأملاك غير مدافع وخلاصة الأقيال من قحطان
المالك السلطان ابن المالك السلطان ابن المالك السلطان

وكما يكثر في شعر النبهاني التأكيد على عراقه النسب يكثر كذلك التأكيد على تسلسل الملك في أسرته، لإثبات أحقيته بالملك ومن ذلك قوله في القصيدة الأربعين: (2) [الرميل]

أنا من جرثومة هوديّة لو يراها قيصر الروم برق
ملك من ملك من ملك من ملوك تُرعد الأرض فرق
شرف من شرف من شرف ناف واستوسق عزّا وآسق

ويبدو أنّ فخر الشاعر بأصله نوعٌ من التّحدّي الذي يُطلقه ضدّ أعدائه الذين يترصّون بملكه الذي ورثه عن آبائه، يقول لهم (3): [الوافر]

أنا ابن السّابقين إلى المعالي ورغم الصّيد والشّوس الغضاب

فعلى رغم أنوف الرّافضين والحاquدين من أهل القوّة والزّهو والتّكبر، وعلى رغم أنف كلّ شجاع وفارسٍ مغوارٍ يبقى هو أسبقهم جميعاً إلى السّودد، وأحقّ منهم بالملك، وقد يستشهد ببعض الأسماء المعروفة بالملك والسّودد، ومنهم "عامر الملقّب بماء السّماء وهو من أجداد الشّاعر، وابنه مزيقا بن عامر و(أسعد الجدّ) هو جدّه أبو بكر من ملوك حمير، واسمه أسعد بن مالك الحميري أحد التّابعة" (4)؛ إذ يقول: (5) [الطويل]

وانّي لمن قوم ملوك أعزّة غطارفة غرّ كرام أطايب
صناديد من عرنين كعب بن مالك وعمرو بن كهلان عظيم المراتب

(1) النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص 329

(2) نفسه، ص 174

(3) نفسه، ص 14.

(4) نفسه، ص 28.

(5) نفسه، ص 38.

ويزداد فخر النبهاني نرجسيةً فهو أصيل النسب من طرية أبيه وأمه كليهما؛ فنسبه من أبيه يتصل بعمرو بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب، ونسبه من أمه قرشي يتصل بذؤبة كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، فطرفاه شريفان⁽¹⁾.

هكذا يزيد نسب الشاعر ومحتده الرفيع من مستوى الترجسية لديه، فيترفع متعاليًا على الآخر، ويدفعه إلى ذلك خوفه على ملكه؛ إذ ينازعه فيه القريب والبعيد، فتظهر الحالة النفسية الخائفة في صورة الواثق الذي يُثبت للعدو وللصديق معاً أنه الملك الذي لا يجارى: ⁽²⁾ [الطويل]

فلا ملكٌ يرتاد ما أنا طالبٌ ولا يركب الصَّعب الذي أنا راكبُه

وحين يفتخر النبهاني بأبائه وبأصله السامي إنما يخاطب خصومه الذين يشككون في أحقيته بالملك، فهم يفتقرون إلى أساسٍ من أساسيات الملك وهو النسب العريق، الذي ورثه النبهاني أباً عن جد، فهو بهذا يترفع على عرش الملك، فيصور كل ثورةٍ ضده أنها نابعة من الحقد والحسد، والدليل حسب زعمه أنه لا يتوفر بين منازعيه منافسٌ جديرٌ باستلام الملك.

هذه النزعة النرجسية في ترفع الشاعر تعكس حالة السخط التي يعيشها مع نفسه ممزوجة بالخوف من ذهاب ملكه وملك آبائه؛ بسبب ما يحيط به من أخطار، والنبهاني في نرجسيته لا يبحث عن مكانةٍ عاليةٍ، فلا وجود لعقدة النقص لديه، إذ ترع على عرش الملك، وقد ورثه من آبائه ذوي الحسب والنسب، وهو أيضاً ذو ثقافةٍ واسعةٍ تتبين من خلال شعره، فقد ذكر فيه بعض الأحداث التاريخية الغابرة، والشخصيات الشهيرة، ناهيك عن إبداعه الشعري.

جاءت نرجسية النبهاني في افتخاره بذاته من منطلق البحث عن الحجج الدامغة التي يؤكد بها استحقاقه للمنزلة والمكانة التي هو فيها، وحتى يثبتها للآخر لا بد له من تصوير المسافة البعيدة بينه وبين من ينازعه في ملكه، فظهرت النرجسية في افتخاره لتضطلع بهذا الدور.

ويقرن النبهاني افتخاره بأصله وأجداده بتعظيم ذاته وتفخيمها، فلم يكن دخيلاً على الملك؛ بل وصل إليه بما قدمه آبؤه من أمجادٍ وتضحياتٍ للمحافظة على هذا الملك العريق، فلا يُتصور منه أن يتنازل عنه وهو حق بالوراثة له، ولم يكن ذلك الافتخار من النبهاني عبثاً، فقد نشأ في مجتمعٍ يهتم كثيراً بالنسب والحسب، بل يجعله أحد المعايير الأساسية في تولي المناصب أو الترفع على كرسى السلطة، فكان الشاعر مدركاً لهذا الأمر فلا يزال يذكر رعاياه بأصله العريق ونسبه السامي، فلهذا الأمر أهميته للذين يناصرونه كما له أهميته للذين يعادونه وينازعونهم في ملكه؛ إذ يحتاج إلى تثبيت

(1) نفسه، ص 38.

(2) نفسه، ص 47.

مناصريه على نصرتهم، وعدم خذلانه، ويحتاج إلى تحذير منافسيه على الملك وتهديدهم، ويرى أنَّ الفخر بأصله السَّامي يحقق له الهدفين معا.

لقد سلك النُّبْهاني في فخره مسلكين متوازيين؛ فهو يفتخر بالأنا المثالية من جهة، ويمدح الأنا من جهة أخرى ويفتخر بها، وقد نظم هذا العمل وأخرجه بطريقة محكمة ومؤثرة، فمن المعلوم أنَّ الشُّعور بالأخر يسبق الشُّعور بالذات⁽¹⁾، لذلك أول ما يدركه الطفل في نشأته هو أهمية مَنْ حوله وقيمتهم لديه ولدى النَّاس، فالإنسان يحتاج إلى غيره كي ينمو نمواً مكتملاً وإلا سوف يتعثر ولا يصل إلى شيء، لذلك فإنَّ "الأنا بدون الآخر تظلَّ وجوداً غفلاً خالياً من المعنى"⁽²⁾، فترجم النُّبْهاني ذلك بشكلٍ دقيقٍ فلا يكاد يعظم ذاته إلا يسبقه فخرٌ بقومه وأصله، فالآخر الذي له قيمة عنده هم قومه أصحاب النسب العريق ولا أحد سواهم، وهنا تتجلى نرجسيته الضَّاربة.

يُظهر الصِّراع التَّفْسي الذي يعيشه الشَّاعر نرجسيته الطَّافية فتبدو متذبذبةً بين أمرين؛ فتارةً يصوِّر نفسه وحشاً كاسراً، وفارساً مغواراً لا يتوانى عن الفتك بأعدائه، ومَنْ من أعدائه يستطيع أن يواجه ملكاً مظفراً، وتارةً أخرى يقدم نفسه على أنَّه القائد الرَّحيم، والملك العطوف، الذي يسامح ويغفر، بل الكريم المحسن الذي لا يكتفي بالعفو عن عدوه، بل يكرمه إذا رجع عن معاداته، وهذا الانتقال بين الصفتين المتناقضتين يفسِّر محاولة الشَّاعر استقطاب الجماهير من حوله، فمن كان يبحث عن القائد الفارس الشَّجاع الذي يحمي الديار ويصون أملاكها وأعراضها فهو الجدير والوحيد القادر على ذلك، ومَنْ أراد العطف والرَّحمة والعطاء فهو أيضاً المؤهل لذلك النَّدى الذي لا ينضب، فجمع بين الترهيب والترغيب كما في قوله: (3) [الكامل]

سعد السَّعود على العفاة وإنِّي لعلی طغاة القوم سعد ذابح
وعلى العدوِّ حمام موتٍ قاتلٍ وعلى الصَّديق أبُّ شفيقٍ ناصح

وتتكرر في شعر النُّبْهاني صفة التَّرفُّع والاستعلاء والثَّقة الزائدة؛ إذ يكرِّس بذلك أفضليته على الآخر، بل يرفع شأنه إلى مرتبة النُّجوم وأعلى، ويحتقر غيره من الملوك فهم تبع له ولا يبلغون شأوه؛ لأنَّه نجم من نُجوم السَّماء، فكلَّ الملوك تقصر مراتبهم أمام علوِّ مراتبه، فهو الممدوح التي تتلى مدائحه في

(1) غانم، محمد حسن، علم النفس والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2019م، ص143.

(2) نفسه، ص143.

(3) النُّبْهاني، سليمان، ديوان النُّبْهاني، ص65.

كل مكان، هكذا تتجلى نرجسيته طاغية لدرجة أنه لا يوجد بين الناس ولا ملوكهم من يقترب من منزلته ناهيك عن مساواته⁽¹⁾: [الكامل]

فاسأل تبابعة الملوك لتحقرن من كان يتبع من بني ذبيان
وإذا تعاطى المالكون مراتي قصرت ودون مقامها التسران
فمواهي ترى بكل مكان فمواهي ترى بكل مكان

والتسران يريد بهما "كوكبان: الواقع والطائر"⁽²⁾، وهنا تظهر نرجسية الشاعر بقوة، فمراتبه أعلى من الكواكب. فلا ملك من ملوك الأرض يستطيع بلوغها.

وقد أعلى النبهاني شأنه ورفع ذاته في مكانة خرج بها عن الواقع والمنطق، فقد تمكنت النرجسية منه، فلا يتحدث عن نفسه إلا بعظمة تتجاوز مرحلة الاعتزاز بالنفس إلى توهم الأفضلية على الجميع، ويوظف النبهاني ضمائر المتكلم مفردا وجمعا (أنا، نحن، تاء الفاعلين، تاء الفاعل) في مبالغة طاغية حين يتحدث عن نفسه ليكرس في ذهن المتلقين أنه الملك الأوحى الأجدر فلا يحق لأحد التفكير في منازعته على هذا الملك المتوارث عبر سلالة ملكية ضاربة في عمق التاريخ، ومن قصائده التي تكرر فيها كثيرا ضمير المتكلم القصيدة السادسة والخمسون في ديوانه، إذ كرر ضمير المتكلم المفرد (أنا) تسع مرات إذ يقول: ⁽³⁾ [الكامل]

أنا ضيغم الحرب العوا ن إذا تصادمت الأفاضل
وأنا خطيب أولي البلا غة إن ترامت في المخافل
وأنا المعد لكل خطب ب فادح ببلاه نازل
وأنا الذي يُكنى إذا هال الكُماة هناك هائل
وأنا المسائف والمداعس والمساور والمنازل
وأنا المليك ابن المليك ك إلى ملوكهم الأمائل
وأنا سليمان المعظّم م في ملوكهم الأطاول
وأنا النذير إلى الوري مني إذا سرن الموائل

(1) نفسه، ص 329.

(2) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م، مادة (نسر).

(3) النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص 237.

يحاول النبهاني من خلال شعره رسم صورة متفردة لذاته المتعالية، هذه الصورة أقرب ما تكون إلى الأسطورة فهو متفرد بصفات عظيمة يتعذر اجتماعها في شخصية اعتيادية، فهو المتصف بأخلاق رفيعة لا يتصف بها سواه، إنه الفارس الشجاع في الحروب، والخطيب المفوه ذو البلاغة والفصاحة، وهو الصبور والقادر على اقتحام الخطوب وتحدي الصعاب، وهو الملك المعظم من سلسلة الملوك الذين يُفاخر بهم، فهذه الصورة التي يقدم بها النبهاني نفسه لخصومه هي صورة متخيلة وإن مُزجت بشيء يسير من الحقيقة، ويسعى بذلك كله إلى زعزعة خصومه لترتعد فرائضهم من صورة هذا الملك العملاق؛ ليضعوا في حسابهم أنه ليس ملكاً عادياً ولن يفرط في ملك آبائه فتزداد خشيتهم من مواجهته ومنازحته.

ويوظف النبهاني ضمير المتكلمين (نحن) ليكرّس اعتزازه بذاته من خلال الافتخار بالجماعة التي ينتمي إليها فيفخر بأجداده الملوك، الذين جمعوا الخيرات من كل اتجاه، ففي القصيدة الثامنة والخمسين في ديوانه المشبعة بضمير المتكلم جمعاً ومفرداً تكرر ضمير المتكلمين (نحن) عشر مرات جاء بعضها متوالياً مثل قوله: (1) [المقارب]

ونحن ملوك بني يعرب وصيابة الحسب الأقدم
ونحن البهاليل من عامر وأشبال حارثة الأكرم
ونحن المحامون دون الحسان إذا سُربلت خيلنا بالدم
ونحن الغطارفة الأكرمون وأهل الأحاديث في الموسم
ونحن المجيبون صوت الكماة إذا فرّ كل فئئ مُقَدَم

ويتعلق النبهاني بأي جذر ينتمي إليه قرب أو بعد؛ ليكرّس فوقيته على الناس؛ فيشطح في فخره بعيداً فلا تظل نرجسيته متوارية في اللاشعور، بل تتجلى عياناً حين يُرجع فضل انتشار الإسلام إلى قومه الملوك الصيّد، فيما أنّ الأنصار أوساً كانوا أو خزرجاً هم يمانيون فهو منهم وهم منه لجذوره اليمانية، فيحق له أن يفخر بذلك إذ يقول: (2) [الطويل]

لنا الفخر في الإسلام والجهل قبله
لنا سورة يعنو لها كل مالك
ولولا الملوك الصيّد قومي لم يُقم
ضربنا على الإسلام أبناء هاجر
غصبناهم كرها على الدين مثلما
ومن بعد في الآلاء واللّزات
وهضبة عزّ أرفع الهضبات
لعمري قوم قبلة الصّلات
فدانوا وأدوا واجب الزكوات
غصبناهم قدما على الأتوات

(1) النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص 241

(2) نفسه، ص 51.

يفخر النبهاني بمجد أجداده في الجاهلية والإسلام، فلولا قومه ما انتشر الإسلام، ولا أقيمت الصلاة، ولا أديت الزكاة، وهو بذلك يُشير إلى "الأنصار من أجداده اليمانيين الذين نصرُوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَيَّدُوهُ"⁽¹⁾، إلّا أنّ نرجسيّته دفعت به إلى تجاوز الحدود، ففرق في عصبية جاهلية، تجلّت فيها شخصية نرجسية نزعت إلى قبلية قحطانية محمّلة بكوامن ضد العدنانية، فنسبهم إلى أمهم (هاجر) وافتخر بضريهم والانتصار عليهم، وغضبهم بالإكراه على الدين، وعلى دفع الزكاة كما كانوا يدفعون لقومه الإتاوات في الجاهلية، مدعيّاً أنّهم دانوا لقومه القحطانيّين اليمانيّين.

ويبدو أنّ حالة نفسية من سيطرة الأنا المتضخمة اعترت النبهاني لحظة كتابة هذه القصيدة، فهوت به إلى قعر سحيق من حيث يظن أنّه يحلق فوق سماءات المجد والرفعة، فأبناء هاجر الذين افتخر بضريهم وغضبهم هم أبناء النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهم قوم الرسول محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والنبهانيّ يتبع ملته، إلّا أنّه شطح كثيراً حين ادّعى أنّ قريشا دانت لقومه القحطانيّين (الأوس والخزرج)؛ إذ إنّ المسلمين مهاجرين كانوا أو أنصارا كلّهم تحت قيادة الرسول القرشيّ العدنانيّ، وبعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ظلت قيادة المسلمين في يد الخلفاء الراشدين، ثم توارثها بنو أميّة، وبعدهم بنو العبّاس وكلهم من قريش، فمتى دان العدنانيّون لقوم الشاعر؟! هكذا تجاوز النبهانيّ الواقع المعيش والحقيقة التي لا تقبل الجدل إلى اختلاق تاريخ متخيّل يلبيّ احتياجه النفسيّ، ويشبع نرجسيّته الطاغية، فالشخصية النرجسية "نمط ثابت من التعاضل والعظمة المبالغ فيها على مستوى السلوك والتخييل"⁽²⁾

وتمثّل (عدنان) عند النبهاني الآخر الذي ينازع الأنا (قحطان) في مكانتها، فلا بدّ لهذا الآخر أن يُقرّ بالمراتب العالية للأنا المتضخمة، ففي القصيدة الرابعة والسبعين يقول:⁽³⁾ [الكامل]

فلنا الممالك والمراتب والعلا والفضل قد علمت بنا عدنان

ويتجلّى التخصيص من تقديم الخبر على المبتدأ في البيت، فالممالك والمراتب والعلا والفضل كلّها خاصة ببني قحطان دون غيرهم، ولإثبات ذلك لا بدّ من التأكيد على أنّ العلم باختصاص قحطان بهذه

(1) نفسه، ص 57.

(2) الفخر النرجسي في الشعر الجاهلي (دراسة أسلوبية نقدية) (Aksaray Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi Dergisi)، المجلد 8، العدد: 15، يونيو 2021، ص 245.

(3) النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص 324.

الممالك والمراتب والعلا والفضل قد تحقق بكثرة عندنا، وهذا ما دل عليه توظيف (قد) قبل الفعل (علم)؛ إذ تحمل دلالة التأكيد والتكثير والتحقيق⁽¹⁾.

ولسنا في مقام الإحصاء والاستقصاء لكل ما ورد في شعر النبهاني من فخر بأصالة العرق ووراثته الملك، ففي النماذج التي ذكرناها مؤشراً واضح على أن فخر النبهاني تجاوز مرحلة الاعتزاز بالذات إلى حالة نفسية دفعته إليها ظروف الحياة التي عاشها؛ فشطح بفخره خارج الحدود المألوفة للفخر، ومن هنا صنفناه فخراً نرجسياً.

المحور الثالث: نرجسية الفخر بتفخيم الذات واحتقار الآخر.

إنّ الأنانية صفة رئيسة في الشخصية النرجسية إذ يرى النرجسي نفسه "أنّه الأفضل والأجمل والأذكى، ويرى الناس أقل منه؛ ولذلك يستبج لنفسه استغلال الناس والسخرية منهم"⁽²⁾ وهذا حال النبهاني؛ إذ كرّس جهده الشعري في تحقير الآخر، وهذا الآخر غالباً ما يكون الملوك؛ وذلك لإثبات فوقيته وعلو شأنه وإظهار تفوّقه عليهم، ويظهر هذا كثيراً في شعره ومن ذلك ما جاء في القصيدة السادسة عشرة من ديوانه إذ يقول:⁽³⁾ [الكامل]

وأنا ابن من ملك الملوك ولم يدع	حسباً لباباً للملوك صراحا
أشري الثناء بما ملكت إذا غدت	جلّ الملوك تطلب الأرباحا
فإذا تساجلت الملوك فإن لي	نسباً أغرّ وسؤدداً وضاحا
وهب الإله لي الفضائل مثلما	أعطى الكليم الصّحف والألواحا
وأنا الذي بمر الملوك أبوة	وفتوة ومروّة وسماحا

يبدو أنّ إثبات التفوّق عند النبهاني لا يتحقق إلّا بتحقير غيره من الملوك، وإثبات دونيتهم من خلال عقد مقارنات بينه وبينهم، فهو ليس ملكاً كغيره من الملوك، بل هو ملك و(ابن من ملك الملوك) ولم يدع شرفاً إلّا احتواه، فالملوك بالنسبة له رعية من رعاياه، وحين تطلب الملوك الأرباح هو يشتري بماله الثناء، وحين تتناسب الملوك فهو أغرهم نسباً وأوضحهم سؤدداً، ويسعى النبهاني إلى أضفاء قدسيّة من ناحية وشرعنة من ناحية أخرى على مكانته الرفيعة، فهي هبة من الله لا يحق لأحد أن ينازعه فيها،

(1) الأنصاري، ابن هشام، مغي اللبيب في كتب الأعراب، ج3 تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، مطابع دار السياسة، الكويت، ط1، 2000، ص541-543

(2) أحمد، مجدي عبد المعروف حسين، وإبراهيم، أسامة محمد سعيد، الأنا في شعر المتنبي، بين النرجسية وتحقيق الذات، مجلة السرديات، ع16، سبتمبر، 2015، ص90

(3) النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص73.

كما لا يحق لأحد أن ينازع موسى - عليه السلام - فيما وهبه الله له من صحف وكلام، وبالإضافة إلى هذه القداسة والشرعنة الدينية فهو صاحب أبوة وفتوة ومروءة وسماحة لم تبهر الرعايا فحسب بل أبهرت ملوك الأرض، فهذه الفوقية التي يرى بها النبهاني نفسه والدونية التي يرى بها الآخر لا تصدر من إنسانٍ سويٍّ، بل تصدر من إنسانٍ نرجسيٍّ تجاوز حبّ الذات إلى إضفاء القداسة عليها.

ويمعن النبهاني في تحقير الملوك والحث من شأنهم، وذلك بالمقارنة بينه وبينهم في نرجسية متعالية يرى فيها ذاته المتضخمة جوهراً وباقي الملوك حجارة كما يقول في القصيدة الثانية والعشرين⁽¹⁾ [المقارب]

فسائل ملوك بني يشجب وسائل ملوك بني الأصفر
فبني وبينهم في الفخار كبين الحجارة والجوهر

ويمعن النبهاني في تحقير خصومه والحث من منزلتهم؛ فالأنا تظل متضخمةً عنده حتى في حضرة الموت التي تلين فيها القلوب القاسية، ففي القصيدة الخامسة والثلاثين رثى النبهاني أخاه (حساما) الذي قتله بيده، فأظهر الحزن عليه في الأجزاء الأولى من القصيدة إذ يقول:⁽²⁾ [الكامل]

نبأ له تصدى القلوب وتخشع وتفويض بالعبر الجفون وقمع
نبأ تكاد الأرض ترجف عنده وتكاد تمّ جبالها تصدع
نبأ له طفق الملوك بغمة حياء تلهف ليلها وتفجع
أحساماً أوصب هم يومك خاطري والهّم يخطر بالقلوب فيلزع
أحسام أوجعني مصابك من أخ عفّ الشمائل جوده ما يقلع

إلا أنه لا يلبث أن يدخل في الفخر والتهديد والوعيد لخصومه، محقراً شأنهم، وحاطاً قدرهم إذ يقول مخاطباً خصومه:⁽³⁾ [الكامل]

هل فيكم كأخي لديّ جلالة وهو الذي أضحي بسيفي مصرع
فأنا النذير لكل قوم بعدها مني بفارقة تسح وقمع
لا فرق بينكم وبين نسائكم عندي وهنّ لديّ منكم أشجع
وكأنني بكم وقد جاءتكم والبيض تلمع والأسنة شرع

(1) نفسه، ص 96

(2) نفسه ص 148، 149

(3) نفسه، ص 141، 142.

كنعاج توضّح شدّ فيها ضيغم فعدت نوافر شتّها لا يُجمع
أو كالجراد علا ففرّق شمله في ظل مُدجّنة حريق زعنغ

لا يحترز النبهاني في غمرة الاعتداد بالنفس والتلذذ بالانتصار من ازدياء الخصوم والحق من قدرهم، وكأنّه اتخذ من هذا التحقير وسيلةً من وسائل الدفاع عن ملكه المحاط بالطامعين، متجاوزاً بذلك الحدود والأعراف فنساء خصومه أشجع منهم، فما هم في حضرته إلا نعاج تفرّقاً من الأسد، ومهما علا شأنهم فهم جرادٌ مصيره التهاوي والسقوط، هكذا تبدو شخصية النبهاني غريبة في تصرفاتها وحسب (ويندي بيهارى - Wendy .T Behare) "يثير النرجسيّ الرهاب والإعجاب في آن"⁽¹⁾

ويعمد النبهاني إلى إظهار البون الشاسع في المنزلة بينه وبين خصومه، بمقارنة يوضّح من خلالها الفارق الكبير بينه وبينهم، ومن ذلك قوله في القصيدة الرابعة والستين: ⁽²⁾ [الطويل]

هل النَّاسُ إلا نحن أبناء يعربٍ فسَلْ تعلمنْ عن فعلنا في الأقالِم
وسائل بنا حيي معدٍ ومازِنِ وسائل بنا فخذني غيرِ ودارِم
لنحْنُ أحقَّ النَّاسِ بالحمد والثَّنا وأولاهم بالملك ضربة لازم
ونحن الأسود الغلب والناس غيرنا ضباعٌ أتُحكى أضبعٌ بضراعِم
ونحن البُزاة الشَّهب والنَّاس كلَّهم حمامٌ فيا ذلاً لها من حمام

لقد شطح النبهاني في فخره بعيداً عن الحدّ المألوف، فلم يكتفِ بذكر مناقب قومه، بل دفعت به نرجسيّته إلى احتقار الآخرين دون استثناء؛ إذ يقول: (هل النَّاسُ إلا نحن أبناء يعرب)؛ ف (هل) في هذا المقام تفيد النفي⁽³⁾، فنفي عن البشر أن يكونوا أناساً، واستثنى من ذلك النفي قومه (أبناء يعرب)، فهم الناس وغيرهم ليسوا كذلك، ولم يحترز النبهاني في غمرة نرجسيّته، فالآخرون الذين نفى عنهم الإنسانية يدخل فيهم كلّ البشر منذ آدم حتى يومنا هذا بما فيهم الرسل والأنبياء والأولياء، ولم يحترز حين ادّعى أن قومه أحقّ الناس بالحمد والثناء أنّه فضل ذاته المتضخمة على ذات الأنبياء، ويستمر النبهاني في احتقار الآخر، وذلك بمقارنة قومه بباقي الناس فهم الأسود، وهم البزاة وغيرهم من الناس ضباع وحمام؛ لإثبات أفضليّتهم، فلا يحق لأصحاب الصفات الحقيرة منازعتهم في ملكهم.

⁽¹⁾ بيهارى ويندي، تعرية النرجسي (التعاشيش والديمومة مع المستغرق ذاته)، ترجمة: محمد السعدي، دار المدى، بغداد، ط1، 2020 ص37

⁽²⁾ النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص272

⁽³⁾ الأنصاري، ابن هشام، مغي اللبيب في كتب الأعراب، ج4 تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، مطابع دار السياسة، الكويت، ط1، 2000، ص331، 332

ومن مواطن تفخيم الذات واحتقار الآخر ما نجده في مقصودته إذ يقول: (1) [الرجز]

إني أنا الإبريز أصلاً وغلاً والناس صُفِرَ بالدقيق يُشترى
أنا المُجَلِّي في الفخار والعلا وكلُّ ملكٍ حيثما سرتُ ورا

يبدو جلياً أنّ تفخيم الذات لا يشبع نرجسية النبهاني ولا يحقق للأنا المتضخمة عظمتها دون أن يكون مصحوباً باحتقار الآخرين؛ فلا يكتفي بأن يكون إبريزاً فحسب؛ لأنّ الإبريز لا تظهر قيمته وتقرّده أمام جنسه، بل يتفرد أمام الأجناس الأخرى من المعادن؛ لهذا يلجأ النبهاني إلى مقارنة ذاته العلية بباقي الناس فيحقّرهم جميعاً أمام مقامه الرفيع (الإبريز) فيجعلهم (صُفراً) ولا شكّ في أنّ البون شاسع بين الذهب الخالص الثمين والنحاس الأصفر الذي يُشترى بالدقيق، وفي البيت الثاني يقارن ذاته بباقي الملوك فهو المقدم والملوك كلهم تبع له، يسرون خلفه أئى سار.

لقد جرت الأعراف أنّ الرجال تحفظ أقدار الرجال، وأنّ سيد القوم يحفظ قدر من سوّدوه؛ إلّا أنّ النبهاني في لحظات تضخم الأنا وتعاظمها يتجاوز كلّ هذه الأعراف والشيم والقيم، فيلجأ إلى تحقير كلّ الناس دون أن يستثني نبياً مرسلأ أو عبداً صالحاً أو يستثني جداً من أجداده الملوك على أقلّ تقدير، ففي قوله: (الناس صُفِرَ) حكم عام يدخل فيه جميع الناس دون استثناء، هنا تتجلّى شخصية النبهاني نفسياً، فهو ملكٌ كثر منازعوه على ملكه فمعطيات هذا المحيط المتأزم تحتم عليه تقديم التنازلات لكسب ولاء رعاياه، إلّا أنّه يفعل خلاف ما يفعله الحكماء من الملوك؛ فيعظم ذاته ويحقّر رعاياه.

ونجد تفخيم الذات واحتقار الآخر حاضراً في القصيدة السابعة الستين من ديوانه؛ إذ يعقد مقارنة للمفاضلة بينه وبين الملوك، مكرساً وهم أفضليّته وسبقه على الجميع بل تبعيَّتهم له إذ يقول: (2) [الكامل]

وإذا الملوك تساجلت لفضيلة فأنا مقدم شوسها وإمامها
وأنا غضنفرة الملوك وصقرها وقربعها وخضّمها وغمامها
فقتُ الملوك شجاعةً وسماحةً فأقرّ لي شجعانها وكرائها
وبراحتي ذُلّ العباد وعزُّها قُرنا معاً وحياتها وحمائمها
وأنا المصقّى عسجد من عسجد في حماة صيد الملوك رغائمها

ينظر النبهاني إلى الملوك بفوقيّته المعهودة، بل يفخر لكونه (مقدم شوسها وإمامها) والأشوس هو الذي ينظر بمؤخر عينيه زهواً وكبراً، هذه هي نظرته لغيره من الملوك فهو في حضرة الملوك الأسد

(1) النبهاني، سليمان، ديوان النبهاني، ص4، 5

(2) نفسه، ص285، 286

والصقر والبحر والغمام، بل هو (قريعهم) بكل ما تحمله الكلمة من دلالات الاحتقار للآخر فمن معانيها الفحل الكريم المختار للضراب، وتزداد ذاته تضخماً فبيده ذلُّ العباد وعزُّها، وبيده حياتها وموتها.

والفخر وحده رغم المبالغة فيه لا يشبع تعالي ذات النبهاني، فلا بدّ من احتقار الآخر والحقّ من شأنه لتكتمل صورة الأنا المتعالية فهو (عسجد - ذهب) والملوك (رغام - غبار) ويبدو أنّ النبهاني أدرك تجاوزه حدود المبالغة في فخره إلى الشطح؛ لهذا يكرّس في مواضع كثيرة من شعره فكرة إقرار الملوك له بهذه الأفضلية، (فأقرّ لي شجعانها وكرامها).

ومن مواضع تفخيم الذات واحتقار الآخر ما نجده في القصيدة الثالثة والثلاثين إذ يقول: (1)

[الكامل]

كلّ الفخار إلى جنابي يرجع وإليّ ينتسب المقام الأرفع
وإذا يُضاف ليّ الكريمُ وإنّ علا شرفاً غدا وهو اللئيم الأوضع

لم يكن إرجاع الفخر إلى جنابه ولا انتساب المقام الأرفع إليه كافياً لإثبات الأفضلية، فلا بدّ من مقارنة يفخّم بها النبهاني ذاته ويحتقر الآخر، فأيّ كريم يقارن به وإنّ علت منزلته يغدو لئيماً وضيعاً.

ومن مواضع تفخيم الذات واحتقار الآخر ما نجده في القصيدة الثانية إذ يقول: (2) [الوافر]

أتحكيني الملوك فلا وري وشتان الأسود من الذئاب
ويا أين الزجاج من العوالي وأين البحر من لمع السراب

بالقسم يؤكد النبهاني أنّه متفرد لا مثيل له، فلا مقارنة بينه وبين الملوك، فهو الأسد والملوك سواء ذئاب، وهو من الرمح رأسه (العوالي) وكلّ الملوك سواء حداثد في أعقاب الرماح (الزجاج)، وهو البحر والملوك سواء سراب، فصورة الأنا المتعالية عند النبهاني لا تكتمل إلا بتحقير الآخر والحقّ من قدره.

(1) نفسه ص 139

(2) نفسه، ص 11

وما ورد في شعر النبهاني من فخر بتفخيم الذات واحتقار الآخر كثير جداً، وفي النماذج التي أوردناها مؤشراً واضحاً على أنّ كثرة المنازعين للنبهاني في ملك آبائه دفعته إلى نرجسية شطحت به بعيداً في تفخيم ذاته وتعظيمها واحتقار الآخر دون استثناء.

المحور الرابع: نرجسية الفخر بادعاء التفرد

وحيث يسرد النبهاني فضائله ومناقبه، يلجأ إلى عقد المقارنات بينه وبين غيره من الملوك من منطلق فوقيته عليهم وقصرهم عن بلوغ مراتبه، فمنزلته أعلى من منازل النجوم، عرضه يظلّ سالماً حين تتدّس أعراض سواه من الملوك، فمكانته لا يشوبها شائب ولا يصل إليها المتطاوّل، ولا شكّ في أنّها مقارنات لا تستند على واقع وإنما هي نسيجٌ متخيّل في لحظة إبداع اعترتها نزعة الاعتداد بالنفس والتعالي على الآخرين، ويغلب هذا على فخره ومن ذلك ما نجده في القصيدة الخامسة عشرة من ديوانه إذ يقول: (1) [الكامل]

بأسى تذلل له الليوث وهمتي	يعنو لرئبتها السّماك الرّامح
وإذا الملوك تدّست أعراضها	لم يقدح عرضي بذمّ قاذخ
أوما ترى الأملاك وهي كثيرة	ومن الطيور فرائس وجوارح
ما كل من سمي الملوك بكامل	عنها النجوم خواضع وجوانح
فمواهبي ملء الفضل ومراتي	عنها النجوم خواضع وجوانح
وليّ المراتب والمناقب والعلا	والأريجيّة والسبيل الناجح

والمتمعن في هذه المقارنات الافتخارية التي يعقدها النبهاني مع غيره من الملوك يدرك أنّها تتطوي على تهديد مبطن لأولئك الذين شمّروا سواعدهم لزعة ملكه، فبأسه تذلل له الليوث، وهمته لا يصل إلى علوها السّماك، وعرضه يبقى نقيّاً وأعراض غيره من الملوك تتدّس، فليست العبرة بكثرة الملوك، فهو وحده الطير الجارح وغيره من الملوك فرائس، هكذا يقزّم النبهاني الملوك أمام مقامه الرفيع، في ادعاء مبطن بالكمال لنفسه (ما كل من سمي الملوك بكامل) ولا شكّ في أنّ نفي الكمال عن المتسمين بالملوك يحمل دلالة مبطنّة لإثباته للملوك الجديرين بالملك، ولا أحد سواه جدير بالملك، هكذا تقود الأنا المتضخمة النبهاني إلى نرجسية تصل إلى ادعاء الكمال.

(1) نفسه، ص 65.

ويستمر النبهاني في تكريس فكرة التفرد التي يمتاز بها عن كل الملوك ليؤكد حقه الأصيل في الملك، وهذا ما يظهر في القصيدة العشرين من ديوانه إذ يقول: (1) [الكامل]

فتصفحي الأملاك هل من مالِكٍ غيري تفرد بالعلّا والسوددِ
أنا سيد الأملاك بعد مظفّر جدي وبعد أيّ الهمام الأجمدِ
الأفخر ابن الأفخرين من الوري والسيد ابن السيد
أنا من تُقرّ له الملوك مهابةً وعلّا يُشاد على سِراة الفرقدِ
عزّاً يقلقل كلّ راسٍ راسِبٍ ويُذلّ كلّ قريع قوم أصيدِ

هكذا دفعت النرجسية النبهاني إلى توهم المتفرد بالعلّا والسودد دون غيره، إنّه ليس ملكاً كباقي الملوك، بل هو سيد الملوك سيادة متوارثة كابراً عن كابر، ويحاول التأكيد على صحة ما نسبته إلى نفسه من فخر بادعاء أنّ الملوك تقرّ له بذلك مهابة؛ لأنّه صاحب عزّ يزلزل رأس كلّ ملكٍ، ويدلّ جبروت كلّ طاغية، ويبدو أنّ حدّة النرجسية تزداد عند النبهاني بزيادة خوفه على ملكه، فتغدو النرجسية وسيلةً من وسائل ردع المترصين به، وكبح جماح الطامعين في ملكه.

وأكثر النبهاني في شعره من استدعاء شخصية هود - عليه السلام - وعلى الرغم من البعد الديني لهذه الشخصية فإنّ استدعاءه لها جاء - غالباً - لأبعاد عرقية، إذ يفخر بانتمائه إلى العرب العاربة، وإلى الجذور القحطانية، وهذا لا ينفي ما يحمله الانتساب إلى النبي هود من قداسة دينية. ففي القصيدة الأولى من ديوانه المعروفة بالمقصورة النبهانية يقول: (2) [الكامل]

أنا ابن ذي التّاج المليك تبّع وصفوة المختار هود المصطفى
من دوحة هود النّبي أصلها وفرعها في شرف ماء السّما

وفي القصيدة الخامسة عشر يقول: (3) [الكامل]

أنا ابن نبهان المتوجّ من بني هود النّبي وذاك عيص واضح

(1) نفسه، ص 87، 88

(2) نفسه/ ص 4

(3) نفسه، ص 64

ويقول في القصيدة الثانية والعشرين: (1) [المقارب]

أنا نجل هود نبي الإله وقدس من والدٍ أظهِر
ويقول في القصيدة الثلاثين: (2) [الطويل]

أنا ابن مليك الأزدي غسان أنتمي هود إذا الأنساب عُدت لعبارٍ
ويقول في القصيدة الثالثة والثلاثين: (3)

من عيص هود الله دوحتي التي من دون محمدها النجوم الطلُع
ويقول في القصيدة الرابعة والثلاثين: (4)

فهو نبي الله جدي وابنه أبو الخير قحطان أمان مروّع
ويقول في القصيدة الخامسة والأربعين: (5) [الطويل]

أنا ابن نبي الله هود بن عابر فيالك عيصاً لا يُشابُ بإدخالٍ
ويقول في القصيدة السابعة الستين: (6) [الكامل]

من دوحه هودية نبوية بذاخة مولى الملوك غلامها

فمواضع استدعاء شخصية هود - عليه السلام - كثيرة في شعره، وكما يريد أضياف القداسة الدينية على نسبه فإنّ ترجسيته القبليّة دفعته إلى محاولة إغلاق أبواب المفاضلة بين بني قحطان وبني عدنان، فإذا افتخر العدنانيون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فالقحطانيون يفتخرون بانتسابهم إلى هود - عليه السلام - بل يذهب النبهانيّ إلى أبعد من ذلك في فخره على العدنانيّين؛ إذ يعيّرهم بخذلان الرسول

(1) نفسه، ص 97.

(2) نفسه ص 132

(3) نفسه 139

(4) نفسه 146

(5) نفسه، ص 202

(6) نفسه، ص 285، 286

محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويفخر عليهم بأن قومه الذين زادوا عن الرسول وحموه من شرهم، وهذا ما يظهر في القصيدة الثامنة والعشرين إذ يقول: ⁽¹⁾ [البسيط]

أبلغ نزارًا وخير القول أصدقه	والقول يُنفذ ما لا تُنفذ الإبر
إن تفخروا برسول الله إن لنا	به كأضعاف ما أשיأحكم فخروا
طردتموه فأوبناه وانبعثت	منكم كتائب تبغي حرته جور
فصدكم عنه منا معشر أنف	بيض قلامس مهما حاربوا ظفروا
أطردون نبيا بين أظهركم	ببعثه جاءت الآيات والسور
ساورتموه وسمر الخط مشرعة	والبيض ترفض من أطرافها شرر
ذناكم عنه بالأسياف مصلته	حتى استمرت له في يثرب مرر

ركّز النبهاني في غمرة تفاخره بعرقه على المفاضلة بين قحطان وعدنان، ليؤكد أفضلية قومه، فاستدعى الأحداث التاريخية للتذكير بدور قومه اليمانيين (الأوس والخزرج) في نصرته الرسول محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والدفاع عنه من ناحية، والتذكير بخذلان العدنانيين للرسول وطرده ومحاربه من ناحية أخرى، إلّا أنه استدعاء انتقائي للأحداث، دفعته إليه نرجسية تعظم الأنا وتحقر الآخر مهما كانت مكانة هذا الآخر، ولا شك في أنّ النبهاني قد صدق فيما ذكره من مناصرة (الأوس والخزرج) للرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصدق فيما ذكره من محاربة قريش للرسول وطردهم له، إلّا أنه تعمد تجاهل الدور العظيم الذي قدمه العدنانيون من قريش خدمة للدين ونصرة للرسول، فقد هاجروا ثلاث هجرات هجرتين إلى الحبشة وثالثة إلى يثرب، فتركوا كل شيء نصرة للدين، وقاتلوا مع الرسول جنباً إلى جنب مع الأنصار (الأوس والخزرج)، لقد عمد النبهاني في غمرة نرجسيته الطاغية إلى تهميش دور العدنانيين (المهاجرين) في نصرته الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مدعيًا تفرد قحطان بنصرة الرسول؛ لتكريس فكرة أفضلية قحطان على عدنان.

(1) نفسه، ص 125، 126

وعلى الرغم من اعتداد النبهانيّ بقومه، وتفاخره بالانتماء إليهم، وبما اتصفوا به من صفات ملكيّة، فإنّ أناه المتعالية تأبى أن يكون مقامه كمقامهم، فيصل اعتداده بذاته إلى تفضيل نفسه على كلّ الملوك من أجداده، إذ يقول في القصيدة الثالثة والعشرين: ⁽¹⁾[الوافر]

أنا ابن السّابقين إلى المعالي فسلّ عن سبقنا قدّمًا نزارا
أنا أعلى ملوك الأزد قدّرًا وأعظمها وأجزلها فخارا
وأبذخها وإنّ بذخت مكانًا وأكرمها وإنّ كرمت نجارا
وأشرفها على العلّات نفسًا وأحماها وأمنعها ذمارا

إنّ نشوة الاعتداد بالذات وتعاضلها جعلت النبهانيّ يفخر بتفردّه على جميع الملوك من أجداده، ويرى لنفسه الأفضليّة عليهم، فهو أعلى ملوك الأزد قدرا، وأكرمها وأشرفها وأحماها للديار وأمنعها للذمار، وكأنّ الله اصطفى الأزد من النّاس، واصطفى بني نبهان من الأزد، واصطفاه دون غيره من بني نبهان، ويبدو أنّ النبهانيّ في لحظة من تعاضل الأنا شطح عن أعراف العرب ففخر على أجداده فمنح نفسه الأفضليّة والسبق عليهم؛ لإشباع رغبته في التفرد.

وفي القصيدة التاسعة والأربعين يقول: ⁽²⁾[الطويل]

فهل ملكٌ مثلي يجود تبرّعا ويطعن شزرا في ظهور القنابل

يوظّف النبهاني أسلوب الاستفهام بغرض النفي؛ لينفي وجود مثيل لذاته المتضخمة، فإنّ وجدت ملوكٌ في الأرض سواه فليسوا مثله في الجود ولا في الطعان، مكرّسا بذلك فكرة التفرد.

ويكثر في شعر النبهاني نفي وجود مثيل له بالاستفهام الإنكاري في مواضع كثيرة من شعره منها قوله في القصيدة الثالثة والثلاثين: ⁽³⁾[الكامل]

وأضرُّ أقوامًا وأنفعُ غيرهم كرمًا وهل مثلي يضّرّ وينفعُ

لا شك في أنّ كلّ من أعطى قومًا نفعهم، وكلّ من منعهم ضرّهم، ولكن ترجسيّة النبهانيّ تأبى إلّا أن تدعي التفرد بكلّ فضيلة.

(1) نفسه، ص 103، 104.

(2) نفسه، ص 227

(3) نفسه 143

ونجد ادعاء التفرد بأسلوب الاستفهام الانكاري حاضراً في القصيدة الرابعة والثلاثين إذ يقول: (1) [الطويل]

فهل مركزٌ حاز الفخار كمركزي وهل منبعٌ ضمّ الفخار كمنبعي
وهل في الوري قومٌ كقومي إذا انتموا بأشرف بيتٍ في يمانٍ ومرفعٍ

هذه ذات النبهاني التي ترفض أن يكون مثلها أحد ، فهي ذاتٌ متفردةٌ برفيع المركز ، والأصل ، والشرف ، ويبدو أنّ تكريس التفرد يغلق الأبواب أمام خصومه ، فلا يدعي منهم أحد مركزاً ولا أصلاً ولا شرفاً أرفع منه.

ويقول في القصيدة السادسة والسبعين (2) [الوافر]

فسعّي المالكين ذويّن سعيي وكلّ مُتَوَجٍّ في الفضل دوبي

إنّها أزمة التفرد التي تسكن النبهاني فقد استقرّ في ذاته المتعالية أنّه لا مثيل له ، فهو الأول المتصدّر في كلّ شيء ، أمّا الآخر فدونه دائماً ، فمهما كان للملوك المتوجين من مفضلٍ فهو دون فضله.

لقد أوصلت النرجسيّة النبهاني إلى حدّ تصوّر فيه وجود الأشياء مرهوناً بوجوده ، فلا بقاء للدين ولا العلم ولا التقى بدونه ، بل إنّ عزة الوطن كلّ مرهونةً بحياته ، وقد جمع هذا التصور في بيت من أبيات القصيدة الثانية عشرة إذ يقول: (3) [الطويل]

تُناط حياةُ الدّين والعلم والتّقى وعزّ عمانٍ كلّها بحياتي

إنّ كثرة المنازعين للنبهاني على الملك والسلطان يدفعه دائماً إلى ادّعاء التفرد ، ومن أجل تكريس هذا التفرد المزعوم يشطح بعيداً في إظهار قدراته الخارقة التي يستحيل أن تجتمع في سواه ، ليبقى هو الوحيد على رأس السلطة ولا يوجد مؤهل لحكم عُمان سواه.

(1) نفسه، ص147، 148

(2) نفسه ص334

(3) نفسه، ص53.

الخاتمة

تناولت الدراسة دوافع الفخر النرجسي وتجلياته في شعر سليمان النبهاني من خلال استتطاق إنتاجه الشعري من ناحية والظروف المحيطة به لحظة الإبداع من ناحية أخرى ، وقد تكشّفت الدراسة عن جملة من النتائج نجملها في الآتي:

- اضطلع اجتماع عراقية النسب ووراثه الملك بالدور الرئيس الذي دفع إلى تضخم الأنا عند الشاعر سليمان النبهاني.
 - دفعت كثرة المنازعين للنبهاني على ملك آبائه إلى تعظيم ذاته وادّعاء تفردّه لإثبات أحقيّته في الملك.
 - أسهمت النشأة الملكيّة القائمة على الترف والبذخ في تعاضل ذات النبهاني واحتقار الآخر.
 - عملت قدرات النبهاني الشعريّة والسياسيّة والقتاليّة على تكريس النرجسيّة في شخصيّة والتعبير عنها.
 - تجلّى الفخر النرجسي في شعر النبهاني في ثلاثة مظاهر: أولها نرجسيّة الفخر بأصالة العرق ووراثه الملك ، وثانيها الفخر بتفخيم الذات واحتقار الآخر ، وآخرها الفخر بادعاء التفرد.
 - شرعن النبهاني وجوده في على رأس السلطة بحجتين: أولهما أصالة عرقه المنحدر من قحطان عامّة ومن النبي هود - عليه السلام خاصّة ، وآخرهما وراثه ملك متسلسل كابر عن كابر من آبائه.
 - لجأ النبهاني لتفخيم ذاته وتعظيمها ، واحتقار الآخر وتقرّيمه ، لتفريق الناس عن مناصرة منازعيه في الملك.
 - عمد النبهاني إلى ادعاء التفرد بكلّ فضيلة لتكريس فكرة استحقاقه للملك دون سواه.
- وتفتح هذه الدراسة آفاقاً لبحوث أخرى في شعر النبهاني من أهمها:
- دراسة النرجسية في غزل النبهاني.
 - دراسة الأنساق المضمرة في شعر النبهاني.
 - دراسة التكرار في شعر النبهاني.

قائمة المصادر والمراجع

- (1) أحمد، مجدي عبد المعروف حسين، وإبراهيم، أسامة محمد سعيد، الأنا في شعر المتنبي، بين النرجسية وتحقيق الذات، مجلة السرديات، ع16، سبتمبر، 2015م
- (2) الأعرج، حازم حسن، نرجسية المتنبي، دار نينوى، سورية، دمشق، ط1، 2021م
- (3) الأنصاري، ابن هشام، مغي اللبيب في كتب الأعراب، ج3 تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، مطابع دار السياسة، الكويت، ط1، 2000م
- (4) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، البشرى، باكستان، 2016م
- (5) بيلانغرانغر، النرجسية دراسة نفسية، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية السورية، دمشق، د. ط، 2000م
- (6) بيهاري ويندي، تعرية النرجسي (التعاشيش والديمومة مع المستغرق ذاته)، ترجمة: محمد السعدي، دار المدى، بغداد، ط1، 2020م
- (7) الخصيبي/ محمد بن راشد، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ج2، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 2016م
- (8) الدينوري، أحمد داود، كتاب النبات، تحقيق: برنهارد لفين، دار القلم، بيروت، لبنان، 1974م
- (9) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: محمود الطناحي، وزارة الإعلام، الكويت، 2004م
- (10) سماحة، سهيل حسيب، قاموس سمير الموسوعي، سمير دار نشر، ط2، بيروت، لبنان، 2012
- (11) السيابي، سالم بن حمود، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، 1383هـ، 1963م
- (12) شكري بركات، ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية، د. ناشر، ط1، 1994م

- 13) غانم، محمد حسن، علم النفس والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2019م
- 14) الفتلاوي، عباس، والجبوري، بشرى، النرجسية في فن التصوير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2020م
- 15) الفخر النرجسي في الشعر الجاهلي (دراسة أسلوبية نقدية) Aksaray Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi Dergisi، المجلد8، العدد:15، يونيو 2021
- 16) فرج عبد القادر، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، باب النون، كلمة (نرجسية)
- 17) الفنجري، حسن عبد الفتاح، بعض اضطرابات الشخصية لدى الأطفال: البواعث والمظاهر، المجلة العلمية للدراسات والبحوث التربوية والنوعية، جامعة بنها - كلية التربية النوعية، مصر، العدد: 1، 2016م
- 18) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م
- 19) مارك. ليري، وريك. هويل، المرجع في الفروق الفردية في السلوك الاجتماعي، ترجمة: عبد اللطيف محمد، وعبد المنعم شحاته، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018م
- 20) ماريو جاكوبي، التفرد والنرجسية، ترجمة: عبدالمقصود عبدالكريم، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2020م
- 21) مجموعة من الباحثين، تاريخ عمان عبر الزمان، ج4، مكتب مستشار جلالة السلطان للشؤون الثقافية، سلطنة عمان، 2020م
- 22) مجموعة من الباحثين، عمان في عهد بني نبهان، الفصل الخامس من كتاب عمان في التاريخ، مطابع النهضة، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ط3، 2015م

- (23) محمد، أحمد علي، النرجسية بين التراث الأدبي وعلم النفس: دراسة نظرية استقصائية، اتحاد الكتاب العرب، التراث العربي، ع 150، 151، 2018م
- (24) مرتضى، سلوى محمد، تربية الطفل بين الدلال المفرط والقسوة الزائدة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، المجلد: 53، العدد: 607، 2014م
- (25) المعري، أبو العلاء، اللزوميات لزوم ما لا يلزم، المجلد الثاني، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2011م
- (26) النبهاني، سليمان بن سليمان، ديوان النبهاني، تحقيق: عز الدين التوخي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 2006م
- (27) نجم، خريستو، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1983م
- (28) النعماني، سعيد بن سالم، الهجرات العمانية إلى شرق إفريقيا ما بين القرنين الأول والسابع الهجريين، النادي الثقافي، مسقط، تنفيذ دار الفرقد، دمشق، ط1، 2012م
- (29) ويندي بيهاري، تعرية النرجسي، ترجمة: محمد السعدي، دار المدى، بيروت، ط1، 2020م



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة دولية شهرية علمية محكمة
الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X
الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2025	2024	2023	2022	2021	العام
0.5978	0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	معامل أرسيف
1.55	1.55	1.25	1.73	1.60	معامل التأثير العربي